

العطاء الفكري النسائي في الحضارات - أولاً : الحضارة الهندية : تطور الدراسة الهندية في القرن الخامس أو الرابع الميلادي وكان الدافع إلى هذه التوجه العلمي خدمة كتابهم المقدس Panini على يد مجموعة من الباحثين يتقدمهم اللغوي المشهور "بانيني" وكان محور استقطاب الفكر اللغوي الهندي هو هذه المرحلة الفيدية [ Vida ] لدى الهندوس وهو الذي كان ينعت آنذاك "الفيدا" حوالي القرن [1200-1000ق.م]. الاهتمام الأصلي عندهم (1) . لقد درس الهندوس الصوت وتجلّى ذلك في أبحاث "باتيني" اللغوية التي أسهمت في تطوير المنهج العلمي لدراسة الأصوات في الثقافة اللسانية المعاصرة - درسوا الصوت المفرد وقسموه إلى علل وأنصاف علل وسوakan ، أصوات العلة والتضييق في إنتاج الأصوات الاحتاكية. وبينوا بأنه إذا فتح ما بين الوترين الصوتيين ينتج النفس وإذا ضيق ما بينهما ينتج الصوت وبيان النفس يحدث في حالة الأصوات الساكنة المهموسة. ولم يكتفوا بذلك بل تحدثوا عن المقطع وفصلوا فيه، القديمة وعدوه من خصائص العلل لا السواكن وقسموه إلى ثلث درجات ولقي الدرس النحوي عندهم العناية الفائقة لأنه كان في الهند ما يقرب من اثنين عشرة مدرسة نحوية مختلفة وأكثر من ثلاثة مئات مؤلف في النحو ، النحوية ما يزيد على ألف ما بين الدراسات الأصلية والشارحة. وكان لكتابه المسمى "الأقسام الثمانية شهرة فاتت وغطت ما سبقه وما لحقه ، أهم مميزات النحو الهندي: 1- البدء بجمع المادة اللغوية وتصنيفها ثم استخلاص الحقائق منها مخالفين في هذا لليونانيين الذين بدأوا من الفلسفة وحاولوا تطبيق القواعد الفلسفية على حقائق اللغة . 2- أنه سبق النحو اليوناني في تحديد أقسام الكلام : ( اسم - فعل ، 4- عرف النحو الهندي الأعداد الثلاثة المفرد والمثنى والجمع . 5- قسم النحو الهندي الفعل السنسكريتي إلى ثلاثة أقسام بحسب الزمن وهي ماض وحاضر ومستقبل وقد نالت المعاجم اهتمامهم في شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدسة والذي تطور لشرح معنى كل لفظ في القائمة وبعد عملهم هذا من قبيل: معاجم الموضوعات " و "معاجم المعاني (2) ثانيا: الحضارة اليونانية : لهذه الحضارة رصيد معرفي طلائعي في مجال الدرس اللغوي تميزت عطاءاتهم فيه بالسمة النظرية التي لا يمارس فيها ، يعول عليه في البحث اللساني المعاصر، م إلى 322 ق م ) والمدرسة الرواقية (1). ومما انشغل به اليونانيون في موضوع اللغة: هل اللغة أمر طبيعي أو عرضي ناتج عن اتفاق البشر وتواضع بينهم ، وهو الذي قسم الكلمة إلى : اسم - فعل وحرف ودرس مجالات لغوية كالجنس والبساط والمركب وموضع الإعراب ، ارسطو تقسيم أفلاطون للكلمة إلى : اسم - فعل وأضاف إليها قسمًا ثالثًا سماه : [رابطة . وأنتج اليونانيون في مجال المعاجم عدداً ضخماً منها ، الميلاد تمثل العصور ألفه عام 180 ق. ثالثاً : الحضارة Hippocrate الذهبية لهذه المعاجم وخاصة في الإسكندرية تذكر من أشهرها معجم . أبو قرات الرومانية : لم تكن هذه الحضارة الوارث الشرعي تاريخياً للتراث اللغوي اليوناني بيد أنها طبعت هذه التراث بسمات الرومان الثقافية والحضارية ودفعـتـ الحركةـ العـلمـيـةـ فـيـ الـدـرـاسـةـ الـلـغـوـيـةـ وـهـوـ مـاـ يـبـدوـ فـيـ الـبـحـوثـ الدـلـالـيـةـ وـالـبـلـاغـيـةـ . رابعاً : الحضارة العربية الإسلامية : لم تكن أقل شأنـاـ منـ الحـضـارـاتـ السـابـقـةـ سـوـاءـ فـيـ النـشـاطـ الـلـغـوـيـ بـخـاصـةـ فـقـدـ كانـ للـعـربـ جـهـودـ لـامـعةـ فـيـ مـجـالـ الـدـرـسـ الـلـغـوـيـ نـالـ إـعـجابـ الـعـلـمـاءـ وـتـقـدـيرـهـ ، نـشـأـ هـذـاـ الـبـحـثـ الـلـغـوـيـ فـيـ ظـلـ الثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ إـلـاـ مـاـ يـمـكـنـ فـيـ إـطـارـ التـحـولـ الـحـضـارـيـ الـعـمـيقـ الـذـيـ أـحـدـهـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ فـيـ الـمـجـمـعـ الـعـرـبـيـ وـالـإـنـسـانـيـ كـافـةـ . ولـقـدـ تـمـحـورـ هـذـاـ الـجـهـدـ حـولـ مـدارـسـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ فـيـ عـلـومـ نـعـتـ بـأـنـهـ الـعـلـمـ الـإـسـلامـيـ : عـلـمـ الـقـرـاءـاتـ ، إـنـ الـدـرـاسـةـ الـلـغـوـيـةـ عـنـ الـعـرـبـ زـخـرتـ بـرـصـيدـ مـعـرـفـيـ هـائـلـ لـهـ مـكـانـتـهـ الـعـلـمـيـةـ فـيـ الـفـكـرـ الـنـسـائـيـ الـمـعـاصـرـ لـأـنـهـ يـمـكـنـ الشـرـعـيـةـ الـعـلـمـيـةـ فـيـ إـطـارـ الـحـضـارـةـ الـمـحـقـقـةـ الـتـيـ اـعـتـمـدـ عـلـيـهـ فـيـ تـمـيـمـ الـأـسـسـ الـمـعـرـفـيـةـ لـلـنـظـرـيـةـ الـلـسـانـيـةـ الـمـعـاصـرـةـ وـهـوـ وـإـنـ تـمـحـورـ حـولـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ لـيـكـونـ مـتـسـمـاـ بـالـبـعـدـ الـدـينـيـ وـيـتـشـرـفـ بـقـدـسـيـةـ النـصـ الـقـرـآـنـيـ - كـلـامـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ - فـإـنـهـ يـحـمـلـ فـيـ عـمـقـهـ أـيـضاـ الـفـضـولـ الـعـلـمـيـ وـالـتـلـطـعـ إـلـىـ إـغـنـاءـ الـدـرـاـيـةـ الـمـعـرـفـيـةـ وـالـعـلـمـ فـيـ بـعـدـ الـإـنـسـانـيـ الـذـيـ يـأـمـرـ بـهـ التـكـلـيفـ فـيـ مـقـاصـدـ الشـرـعـيـةـ . وـلـكـنـ قـلـةـ مـنـ الـمـسـتـشـرـقـينـ درـسـواـ تـرـاثـاـ الـلـغـوـيـ حـقـ درـسـهـ وـقـدـرـوـهـ حـقـ قـدـرـهـ فـهـذاـ فـيـشـرـ يـقـولـ عـنـ عـلـمـ الـمـعـجمـ الـعـرـبـيـ : «ـ وـإـذـاـ اـسـتـثـنـيـاـ الـصـيـنـ فـلـاـ يـوـجـدـ شـعـبـ آـخـرـ يـحـقـ لـهـ الـفـخـارـ بـوـفـرـةـ كـتـبـ عـلـمـ الـلـغـةـ وـيـشـعـورـهـ الـمـبـكـرـ بـحـاجـتـهـ إـلـىـ تـنـسـيقـ مـفـرـدـاتـ بـحـسـبـ أـصـوـلـ الـعـرـبـ »(1) . . وـبـلـدـهـ ذـوـ شـكـلـ وـاـحـدـ وـلـكـنـهـ دـاـخـلـ هـذـهـ الدـائـرـ يـرـمـزـونـ لـلـفـرـقـ الـدـقـيقـ فـيـ الـمـعـنـىـ بـكـلـمـةـ خـاصـةـ »(2) وـالـعـرـبـيـةـ الـكـلـاـسـيـكـيـةـ لـيـسـتـ غـنـيـةـ فـقـطـ بـالـمـفـرـدـاتـ وـلـكـنـهـ غـنـيـةـ أـيـضاـ بـالـصـيـغـ الـنـحـوـيـةـ بـيـنـمـاـ عـبـرـ الـفـيـلـسـوـفـ الـعـالـمـ اـرـنـسـتـ رـيـنـانـ عـنـ إـعـجـابـهـ بـالـعـرـبـيـةـ فـقـالـ: مـنـ أـغـرـبـ الـمـدـهـشـاتـ أـنـ تـنـبـتـ تـلـكـ الـلـغـةـ الـقـوـيـةـ ، الـتـيـ فـاقـتـ أـخـوـاتـهـ بـكـثـرـةـ مـفـرـدـاتـهـ وـدـقـةـ مـعـانـيـهـ وـحـسـنـ نـظـامـ مـيـانـيـهـ »(3) وـقـدـ نـالـتـ الـدـرـاسـةـ الـصـوتـيـةـ عـنـ الـعـربـ إـعـجـابـ هـؤـلـاءـ الـمـسـتـشـرـقـينـ وـذـهـلـوـاـ أـمـامـ دـقـتهاـ فـيـ الـوـصـفـ وـالـتـقـسـيمـ الـأـمـرـ الـذـيـ جـعـلـهـ يـعـتـقـدـونـ اـفـتـراضـ اـقـتـباسـهـمـ مـنـ حـضـارـاتـ سـابـقـةـ كـالـإـغـرـيقـ وـالـهـنـدـ مـثـلـمـاـ أـشـارـ فـيـ ذـلـكـ الـعـالـمـ الـلـغـوـيـ فـولـزـ ]ـ إـلـىـ بـعـضـ نـقـاطـ التـمـاسـ بـيـنـ [ـ بـانـيـنـيـ ]ـ الـهـنـدـيـ وـبـيـنـ الـعـلـمـ الـصـوـتـيـةـ الـتـيـ أـنـشـأـهـاـ أـوـيـلـ النـاحـةـ الـعـرـبـ كـالـخـلـيلـ بـنـ أـحـمـدـ الـفـراـهـيـدـيـ (ـتـ 170ـهـ)ـ وـنـرـىـ فـكـرـةـ هـذـاـ التـأـثـرـ تـرـجـيـحاـ وـمـزـعـماـ لـاـ

ثبت له لأننا نعد افتراضًا وتخمينا لا يرقى إلى الصحة ولا يتتوفر على الدليل والثبات المادي ، علم التجويد (علم القراءات كان مقتربنا بعلم الأصوات وضبط مخارجها فتجد العلماء قد أدرجوا ضمن مصنفاتهم إلى جانب قواعد التلاوة فصلاً أو مبحثاً يتعلق بمخارج الحروف وطريقة نطقها وصفاتها وهو ما يمكن معاينته في كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجوزي مثلاً وغيره من العلماء الذين ذكروا في مؤلفاتهم ملاحظات في الأصوات كالجاحظ في البيان والتبيين [ الباقلاني في [ إعجاز القرآن و ابن سنان في إسر الفصاحة ] وابن جني في [ سر صناعة الإعراب وكابن أبي مريم في كتابه [ الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها ] ، كأبي عمر بن العلاء (ت 154هـ) والكسائي (ت 189هـ) (1). وإذا كان الدرس الصوتي عند علماء اللغة المحدثين يمثل أول خطوة في أي دراسة لغوية لأنه يتناول أصغر وحدات اللغة وهي الصوت الذي يمثل المادة الخام للكلام البشري فإن اللغويين العرب لم يبحثوا الصوت يحثا مستقلاً ولم ينظروا في البدء إلى الدرس الصوتي النظرة التي رأها المحدثون وإنما تناولوه مختلطًا بغیره من البحوث ؛ ويعد ابن جني (ت 392هـ) أول مستعمل لمصطلح اللغوی الدال على هذا العلم الذي مازلنا علم الأصوات (1) وخصه ابن سينا الفيلسوف المشهور برسالة تعرف . نستعمله حتى وقتنا أسباب حدوث الحروف ومن أهم نتائج الدراسة الصوتية لدى العرب: أ- وضع أبجدية صوتية اللغة العربية رتب أصواتها بحسب المخرج بدءاً من أقصى الخلق على الشفتين وأول واضح لذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) تشمل تسعه ب تحديد العرب عن أعضاء النطق ومخارجها الأصوات بالتفصيل وصنفوا الأصوات بحسب مخارجها وهي ثمانية مخارج عند الخليل، سبعة عشرة كسيبويه ابن دريد وابن جني وعلماء التجويد ج - عرف العرب أن طريقة التحكم في الهواء عامه في إنتاج الصوت وقسموا الأصوات تبعاً لذلك إلى شديدة ورخوة ومتوسطة . د فصل العرب الأصوات المطبقة عن غيرها فهي الصاء الضاء والطاء والظاء . ه - عرفوا الرنين الذي قد يصاحب نطق الأصوات مثل الأصوات المجهورة وقسموا الأصوات بحسب هذا الرنين أو عدمه إلى مجهورة ومهمسة و - قسم العرب الأصوات إلى صحيحة ومعتلة. ز - عرفوا أقسام أصوات العلة فقسموها إلى قصيرة وطويلة وأطول (1) . وعلى أية حال ليس هذا مجال تفصيل الدرس الصوتي أو الصRFي أو النحوي عند العرب ولكننا نقول : أنه لم يعرف أي دراسة لغوية للعرب قبل الإسلام فهم مسبوقون من الأمم الأخرى التي ذكرناها بجهود راسخة قبل ظهور الإسلام بقرن. وبعد ظهور الإسلام لم تكن عنايتهم موجهة إلى البحث اللغوي لأنهم انشغلوا بتوجيهه اهتمامهم أولاً إلى العلوم الشرعية والإسلامية وحين فرغوا منها اتجهوا إلى غيرها من العلوم فقد ذكر السيوطي قوله: إنه منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث الشريف ويؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير نريد أن نبسط بعض القضايا قبل أوانها حين نسير إلى تطابق وجهات النظر بين بعض العلماء المدرجين في {لـ\_7 القرآن، الدراسة مثل دي سوسير، وبين ( الإمام عبد القاهر الجرجاني ) في بعض المسائل اللغوية . الجملة - موضوع تعلق الكلم بعضه بعض - واهتم في كتابه (دلائل الإعجاز بالعلاقات القائمة بصورة متباينة بين وحدات الكلام، وأكد معه بأن الهدف من اللغة لا ينحصر في إعلام السامع بمعنى المفردات وإنما اللغة وضفت للتواصل فهي ظاهرة اجتماعية لا فردية. (1) أما الدراسة اللسانيات عند دي سوسير في هذا الجانب فمن أول المبادرات التي أقام دراسة اللسانيات عليها هو حد الألسنة التي تتroxى الوصف والتاريخ (2) للغات التي تتمكن منها ، ومن حدتها أيضًا البحث عن القوى التي تعمل باستمرار في لغات العالم كلها ونريد من وراء ذلك أن نستخلص القوانين العامة التي يمكن أن تلتقي فيها اللغات تشتراك فيها، وهذه الوحدات ترکب بعضها ببعض بصورة تحقق غرض التواصل قال دي سوسير: «إنها منظومة من العلامات التي لا أهمية فيها لغير الوحدة بين المعنى والصورة السمعية ويكون فيه جزءاً العلامة نفسيين أيضًا (3) اللغة منظومة من العلامات التي تعبر عن فكره ما (4) نستنتج من كلامه بأنه يقر القيمة اللغوية للعناصر والوحدات التي تجمع بين المعنى والصورة السمعية . غرضها إعلام السامع خبراً يجهله ويقوم هذا النظام اللغوي على ربط الكلمات بعضها ببعض كما سبق وفقاً لمقتضيات معينة في السياقات الاجتماعية بين المتكلم السامع والمخاطب ذات دلالات عقلية وبفضل هذا النظام تتمكن اللغة من أداء وظيفتها بوصفها وسيلة اتصال الناس بعضهم ببعض، وظيفتها في التبليغ والتواصل (1) وإذا كان عبد القاهر لا ينكر أن الفكر يتعلق أصلًا باللغة المفردة إلا أنه يؤكّد أن الألفاظ أوّلية المعاني وهو هذا يربط المعنى بالفكر.